مريم على اقدام الصليب*

للشاعر رومانس المرنم

بقلم الاب بنولاوس قادري ق. ب.

مقدمة

موضوع لطيف رقيق نظمه الشاعر الملهم رومانس المرنم لتنشده الكنيسة البيزنطية في حفلاتها الدينية وتتلوه يوم الجمعة العظيمة كسر من اسرار الديانة المسيحية . استوحى موضوع النشيد من انجيل يوحنا حيث يقول : « وكانت واقفة عند صليب يسوع امه[1] ». ونهج فيه على غرار بعض المشاهد الشعرية من المسرحية الرائعة اليونانية « آلام المسيح » « Χριστὸς Πάσχων » للقديس الشاعر غريغوريوس النزيزي[2].

وهذا النشيد هو احدى مآسي الالام ولوحة بعيدة الرموز جميلة الالوان النفسية خصبة الافكار دقيقة الشعور سكب فيها المصور الفنان روحه اللطيفة وايمانه الراسخ وفكره الثاقب فحلل بابياته الموسيقية العذبة الساحرة وتصاويره الخيالية الصافية حلل نفسية الأم الحزينة تتألم بخضوع امام المشهد الصارخ ، امام خشبة الصليب يحمل ثمرة احشائها كعنقود مدلل من كرمة الحياة وقد دقق الشاعر رومانس في درس شخصية الوالدة المؤمنة كمال الايمان برسالة ابنها يسوع الاله الانسان .

---

* Pitra : *Analecta Sacra*. T. I. p. 101.
Giuseppe Cammelli : *Romano il Melode Inni*. Edizioni Testi Christiani. 1930. pp. 332 - 361.

١) يوحنا ١٩-٢٥

٢) مجموعة الاباء اليونان لمين . مجلد ٣٥

وهذا النشيد هو حوار منقل بالعمل المسرحي هو حوار يدور بين الأم وابنها المسارع الى الصلب في فترة من الزمن تطوي الاجيال بأثرها الخالد .

تخيّل رومانس العذراء مريم تستوقف ابنها قبل صلبه وتناجي وحيدها على حدة وهو لا يزال بعد حيّاً وتُسرُّ اليه سرّاً وبالسكون بما يخالج فكرها وشعورها من دقائق العواطف التي تساور نفس أم تتألم لألم وحيدها البكر[1] ثم يخاطب يسوع امه العذراء « المتهدمة من الحزن والاسى » ويشجعها لتثبت راسخة في ايمانها ، قوية في الامها ومحنتها ، واثقة برجوعه اليها من وراء القبر ويحضها على ان تدع البكاء جانباً وان تطلب الغفران للبشرية[2] .

بهذه المناجاة الأليمة تفيض الأم بحبها الشديد لابنها الحبيب فتعرب له عن شدة شوقها المتقد في اعماق الفؤاد : انها تريد ان تتبعه الى الموت وتظهر رغبتها الشديدة ان تكون معه فتسأله ان كان مزمعاً ان يقوم ويعود اليها بعد القيامة[3] ثم تسمع بلهفة لكلام ابنها والمها يطلب منها ان تخفف من لوعتها وتكفكف دموعها وتنفض عنها الاسى لانه انما جاء الى الآلام طوعاً ليتمم ارادة من أرسله[4] .

وقد بدأ المرنم الشاعر مأساته هذه بنوع مسرحي رائع : « تلك النعجة مريم ابصرت حملها موقاً الى الذبح تبعته متهدمة . »[5] وفي هذه المقطوعة الاولى نرى عرض الاشخاص والمكان ونشاهد مشهداً فريداً في تاريخ الانسانية صوّره الشاعر أمامنا وجسمه لنا بكل دقائقه وتقاطيعه حتى نخال اننا نشاهد من جديد على بعد عدة قرون ما حدث على جبل الجلجلة منذ الفي سنة تقريباً . صوّر الشاعر أمّاً تلاقي وحيدها يحمل صليبه ويذهب الى الموت « كحمل سيق الى الذبح ولم يفتح فاه[6] » فتصرخ باكية : اين تجري ، يا ابني ، لاي سبب

---

١) راجع المقطوعات ١-٣ ، ٧-٨ و١١ و١٥

٢) راجع المقطوعات ٤-٦ ، ٩-١٠ ، ١٢-١٤ ، ١٦

٣) مقطوعة ١١

٤) مقطوعة ١٤

٥) مقطوعة ١

٦) اشيا ٥٣-٧

تروح الآن تسعى السعي الحثيث ؟ أعرس آخر في قانا انحث الآن الخطى الى هناك حتى تحول الماء خمرًا ؟ »[1] . فتهم باللحاق به لا الى عرس جديد بل الى الموت معه : « أأتبعك يا ابني ؟ أم البث هنا ؟ » وتلبث منتظرة الجواب : « ايه كلمة ايها الكلمة ، لا تجز بي صامتاً ! »[2] تسأل الأم الكنيسة ابنها جواباً يعزيها ويشددها في مصابها الاليم ولا تزال تحفظ في ذاكرتها الحية اصوات الاطفال بالامس فتسمع هتافاتهم الماضية : « اوصنا ! مبارك ! » وتنظر الى الطرق فتراها بعد مفروشة بالسُعف فتصرخ صرخة الأسى والانتفاض عندما تقابل بين امس واليوم فترى الأمة يلقون ايديهم على ابنها ويسوقونه الى الصلب : « اواه ! اريد ان اعرف كيف يخبو ضيائي ، كيف يُسمر على الصليب ابني والهي ! »[3] .

ففي مرارة نفسها ألم ومحنة وخوف كبير ولكنها في سورة مصابها تبقى خاضعة لارادة الله حين تعرف ان ابنها انما يتألم ليخلص البشرية : « انت وحدك تخلص الجميع ، انت وحدك تكفّر عن الجميع انت يا ابني والهي ! »[4] .

لقد عالى البعض من الآباء في تصوير نفسية مريم على اقدام الصليب وذهب البعض منهم الى الشك في ثبات ايمانها ولو برهة يسيرة وارجعوا هذا الضعف الى طبيعة الأم او الى حربة سمعان التي جازت في نفس العذراء وقت الآلام . وعرف رومانس هذه المحاولات الفلسفية فرفضها بشجاعة ولو كانت متحدرة من المعلمين الملافنة وتجاسر بجرأته الشعرية وقاوم التجربة ، فتقواه الشجي الملائم لروح الشعب سدّد نظريته وافكاره في العذراء مريم وقوّمت تفكيره الخاص وغيرت اراءه بالملافنة فطرح شكوكهم جانباً وحمل عواطف الشعب واحس باحساساته الصادقة السليمة ولم يتورط في الارتياب والشك في ايمان مريم برسالة ابنها الالهي . فاللازمة « انت ابني والهي » هي فعل ايمان قوي لا يقبل شكًا في نفسية العذراء ، وروحها اللطيفة لا تقبل الارتياب وقد تبدد في كل صرخة من صرخات فؤادها « انت ابني والهي ! » .

---

١) مقطوعة ١
٢) مقطوعة ١
٣) مقطوعة ٣
٤) مقطوعة ٣

ولا يسعنا ان نبيّن عبقرية رومانس الشاعر ودقة شعوره وسعة تفكيره في حقيقة عجز عن فهم دقائقها كبار المعلمين والملافنة . فلم يرضَ بتفكيرهم بل تحرر وفكر بما املاه عليه ايمانه وقلبه واذا به يخوض المعمعة ويخرج منها سالماً منتصراً يصوّر خوف العذراء الوالدة ولكنه لا يقبل ضعفاً في ايمانها ولا شكاً ولا ارتياباً في رسالة ابنها يسوع الالهي.

يعمد الشاعر على وسيلة تنجيه من ورطة الملافنة فيعبر يسوع اقوالاً يعزي بها امه ويشجعها بكل دالة ومحبة : انفضي الحزن ، يا أم ، انفضي الحزن فما يليق بك لانك تدعين مملوءة نعمة . »[1] اجل يدعو يسوع أمه الى الفرح والغبطة ويشرح لها ضرورة موته الطوعي لخلاص البشرية الساقطة . فتحس مريم بالخوف الشديد والألم القاسي ولكنها تبقى في كل النشيد قريبة من الانسانية التي تشعر وتتألم كما تتألم كل أم عندما ترى فلذة كبدها يعاني مرائر الآلام ويتجرع كأس الموت الاليم . ولكن ايمان مريم يصمد كاملاً راسخاً لا يتزعزع . فيخوف العذراء يتولد من شدة حبها : « غلبني الحب يا ابني ، غلبني الحب ، يقيناً لا اطيق ان اكون انا في دارتي وانت على خشبة . »[2]

مع ذلك يحسُّ القارئ بخضوع مريم لارادة ابنها فتعبره سعيا بكل انتباه وذلك بعد ان تكون قد « كفكفت الدموع من عيونها وعدّت فؤادها بما في امكانها . »[3] وتستفهم عن بعض الغامضات كانسان حكيم لا يريد ان يستسلم لجهله فتسأله : « انك شفيت اناساً عديدين بدون ألم وطهّرت الابرص بلا وجع ، شئت فكان ما شئت . أقمت الاموات ولم يسطُ عليك موت ولم توضع في رمس . اذن فكيف تقول ان لم أتألم فآدم الشقي لا يُشفى ؟ »[4] ترجع مريم هذا الاستفهام الى ايمانها بقوة يسوع الالهية وارادته السامية وهي تعرف بأنه باستطاعته لو أراد ان يخلص البشرية بكلمة دون ألم : « مُر ، يا مخلص ،

---

١) مقطوعة ٥

٢) مقطوعة ١٥

٣) مقطوعة ٨

٤) مقطوعة ٧ و٨

فيقوم آدم للحال ، فلك يخضع الجميع بما أنك مدع الجميع »[1] .

وحين يشتد ألمها يشتد ايضاً خوفها فتستجلي الامور كفافاً وتسأل ابنها عما يعقب الرمس : اذا تألمتَ ومت أفتعود اليَّ ؟ اني اخاف ، بني ، اخاف ان لا تعود عقيب الرمس . »[2] وهذا الخوف يتبدد كالضباب عندما تسوقه الرياح فتسمع مريم من ابنها كلمات الثقة والارتياح : « ثقي بقيناً ، يا أم ، انك قبل الجميع ستبصرينني خارجاً من القبر . »[3] .

واخيراً تسمع مريم من ابنها كلمات الوداع : « هي ارادة الآب » فتغلب لايمانها وحبها وزول خوفها فتنشد من جديد انتصارها على الخوف : « غلبني الحب ، يا ابني ، غلبني الحب ! » ولا تطلب بعد ذاك الا ان ترافقه الى الموت بل الى الانتصار الخالد وقد آمنت بأن الحياة انما هي ابنها : « ما الحياة ؟ من هي ؟ انها ابني والهي ! »[4]

ولهذا النشيد روعة جذابة ومظهر خلّاب وصبغة حية تحيا من حياة المأساة الدينية اجل انه حوار رشيق جميل ولون من الوان النفس الغنية بالرقة والعطف والحنان والامومة المتألمة ومن جهة اخرى زى الهدوء والاطمئنان وروح التعزية . لقد مُثِّل هذا الحوار الجذير بتلتون او براسين لما فيه من عمق الدرس النفسي ورقة الحب الوالدي والاحترام البنوي مُثِّل هذا النشيد مرتين في العام الماضي في بيروت ودمشق وقد اذهل الحاضرين ونال استحسان الجميع بتلك المسحة الشعرية الروائية وتلك العذوبة في العواطف وذلك السمو في النفسيات . واذا ما استثنينا المقدمة والمقطوعة الاخيرة التي هي صلاة فالنشيد كله ليس سوى حوار تتكلم فيه العذراء الأم ويبادل يسوع أمه الكلام فيؤنسها ويشجعها ويعزيها في آلامها ومصابها .

وهذا الحوار الغني بالايقاع والانسجام الموسيقي المثقل بالوحي الخصيب

١) مقطوعة ٨
٢) مقطوعة ١١
٣) مقطوعة ١٢
٤) مقطوعة ١٥

والخيال الصافي يحمل شعورًا عميقًا وافكارًا سامية تجد ينبوعها في مأساة آلام المسيح « Χριστὸς Πάσχων » للشاعر غريغوريوس النزينزي نظمها هذا الشاعر على طريقة اوريبيدس فكانت اول رواية دينية رائعة افتتحت المسرح في الديانة المسيحية. ومن بعد ظهور هذه المسرحية انتشرت المآسي والاسرار في الكنيسة باللغة الادبية واللغة الشعبية اليونانية وكان لمأساة « آلام المسيح » الأثر البعيد على الفن المسرحي في الشرق.

ان بيزنطية انصرفت الى المآسي الدينية اي الاسرار بخلاف ما ارتآه بعض الكتبة اذ نفوا عن بيزنطية المسيحية هذا الفن المسرحي[1]. لان الجو الذي عاش فيه شاعرنا رومانس كان جوًا مشبعاً بالمآسي. وقد عرف المأساة الكبيرة الكلاسيكية للشاعر غريغوريوس النزينزي الذي ارجع للشعر القديم المدرسي رونقه في روايته الدينية وهي رواية فخمة بوزنها ومظهرها وموضوعها، وضعها الشاعر غريغوريوس بالشعر اليوناني القديم المعروف بالكلاسيكي وعن هذه المأساة استقى رومانس بعض ابياته وموضوعات اناشيده وخصوصاً في نشيد الآلام ونشيد القيامة. وكثيرون اخرون تأثروا في هذه المأساة كما قالت العلامة فنيسيا كوتس : «ان تأثير المسرح الديني على الفن المسيحي في الشرق لمسألة يجب ان تسيطر (في الدروس الأدبية والفنية) لان وجود هذا المسرح هو اليوم فوق كل شبهة وشك[2]».

واغلب اناشيد رومانس هي من المآسي الدينية التي كانت تنشد وفي الوقت نفسه تمثل كما كان جارياً في كنيسة آجيا صوفيا في عهد رومانس وقد ازدادت هذه النزعة في الاجيال التالية وقد حفظت لنا الاجيال والكتب والحفلات الطقسية الشرقية لونًا خاصاً من الوان المسرحيات.

ومن هذه الحفلات نخص بالذكر زياح الشعانين وحفلة الغسل وصلوات الآلام وقراءة الاناجيل ورتبة جناز المسيح ورتبة هجمة عيد الفصح والباعوث وكلها بقايا من المآسي الدينية التي كانت قد ابتدأت في المسرح المدني خارج الكنيسة

١) راجع مجلة المشرق في سنتها ٣٣ نيسان سنة ١٩٣٧، صفحة ١٩٦.

٢) Cf. Venetia Cottas : *L'Influence du Drame « Christos Paschon » sur l'art chrétien d'Orient*. Paris, 1931, p.1.

ثم راجت واقتربت من قدس الاقداس حيث تباركت وانحفظت داخله الى ايامنا بينما ان « الاسرار » في الغرب ابتدأت في الكنائس ثم خرجت منها الى الساحات العمومية واضمحلت ولم يبق منها الا القليل[1] .

ونشيد رومانس هو من تلك المآسي الخالدة التي غابت الاجيال ووصلت الينا في رونقها وعذوبتها فهو في رقته وايجازه وحسن روائه ودقة تحليله النفسي من الاناشيد الخالدة التي غمرت البشرية بالنفحة البارية والالهام الصافي. ذلك لأن رومانس على عمق تفكيره وبعد خياله وسعة تحليله لنفس الأم العذراء لا يزال في طليعة الشعراء الكبار . وقد تفتخر مدينة بيروت انها احتضنت هذا الشاعر بين جدران كنائسها وتعتز الكنيسة انها لا تزال تدخل الشاعر الى قدس اقداسها اذ انها تعرف قيمة الجمال فتحضنه وتحتضنه بينما كان افلاطون يتوج الشاعر ثم بعد ذلك يبعده الى ما وراء الحدود .

[1] Cf. Venetia Cottas : *Le Théâtre à Byzance*. Paris. 1931. p. 53.

مريم على أقدام الصليب

نسبة للشاعر رومانوس المرنم

مقدمة

هلم جميعاً نسبّح
من لأجلنا صلب ،
ذاك أبصرته مريم[1]
على الخشبة فقالت :
« وان احتملت الصلب
فانت لم تزل
ابني والهي ! »

مريم

١ تلك النعجة مريم
حين ابصرت حملها
مسوقاً الى الذبح[1]
تبعته متهدمة
بصحبة نسوة أخر
فهتفت هكذا :
الى اين ؟ يا ابني
لأي سبب تذهب
هكذا سريعاً سريعاً ؟[2]

اعرس آخر في قانا[3]
ونحث الخطى الى هناك
لتحول الماء خمرا ؟
أأتبعك ، يا ابني
أو ألبث هنا ؟
اعطني كلمة ، يا كلمة ![4]
لا تجزني صامتا !
يا من حفظني عذراء ،
يا ابني والهي !

١) يوحنا ١٩ – ٢٥ ٢) أشيا ٥٣ – ٧ ٣) تيموثاوس ٢ – ٢ ٤) في هذه المقطوعة يتبع رومانس الشاعر غريغوريوس النزيزي Migne P. G. T. 38. Col. 173. Χριστὸς Πάσχων τραγῳδία. ٥) يوحنا ٢ – ١ ٦) يوحنا ١ – ١ .

مريم

٢ ما كنت أنتظر ، بني
ان اراك على هذه الحال ؛
وما كنت أعتقد أصلا
بأني انظر الاثمة
تثور بهم نزوة الغضب
الى هذا الحد .
يرفعون الأيدي بجور عليك[1]
بينما أطفالهم تصرخ لك :
« اوصنا ! مبارك ! »[2]
وهذا الطريق
المفروش بالسعف
يذكر الجميع
بمديح المجرمين لك
والان لأي سبب
يجترم هذا الاثم
أريد اواه اريد
ان أعرف كيف يخبو ضيائي ،
كيف يسمر على الصليب
ابني والهي ؟

مريم

٣ أتسرع ، يا حشاشتي
الى الموت الجائر ،
وليس أحد يتألم معك ؟
فلا يصحبك بطرس
القائل لك :
لا انكرك ابدا
ولو ألجئتُ الى الموت ! »[3]
اهملك توما
وقد هتف : « لنذهب
نحن ايضاً لنموت معك . »[4]
وهكذا احباؤك الآخرون
واولادك المزمعون
ان يدينوا أسباط اسرائيل[5]
أين هم الآن ؟ لا أحد منهم
بل انت وحدك ، بني
تموت عن الجميع[6]
وتخلص الجميع
وتكفر عن الجميع
انت يا ابني والهي !

١) لوقا ٢٢ — ٥٣ ٢) متى ٢١ — ٨ ٣) متى ٢٦ — ٣٥ ٤) يوحنا ١١ — ١٦
٥) متى ١٩ — ٢٨ ٦) ٢ كور ٥ — ١٤

يسوع

٤ بهذا فاهت مريم
فكان أساها شديدا
وحزنها عميقا
وكانت تبكي ،
فالتفت اليها
المولودُ منها وهتف بها :
لِمَ بكاؤك ، يا أمُّ ؟
لِمَ يشفك الحزن
كسائر النساء ؟
فكيف أخلص آدم
ان لم أتألم وامت ؟
او لم اسكن قبرا ؟
كيف اجذب الى الحياة
اولئك الذين في الجحيم ؟
لأنت تعلمين يقينا
أني سأصلب وأموت ،
اذن لِمَ بكاؤك ، يا أم ؟
ألا اهتفي بالاحرى :
يجب يقبل الألم
ابني والهي !

يسوع

٥ دعني النوح يا أم ، دعيه :
فلا يليق بك العويل ،
لأنك تدعين
مملوءة نعمة.[1]
لا تحجبي
مجدك بالبكاء ،
ولا تقيسي نفسك
بالنسوة الجاهلات ،
ايتها العذراء الحكيمة !
انك داخل خبائي ،
فلا تحسبي نفسك
كانك خارج الخباء .
ألا تادي الذين
هم في الخباء عبيد لك ،
فكل يسرع
ويطيع لك ،
حين تقولين يا عفيفة :
اين هو
ابني والهي ؟

١) لوقا ١ — ٢٨

يسوع

٦ لا تعتقدي بأن
نهاري مر ،
فانا الحلاوة
لهذا الكفاح اتيت .
نزلت كالمن من السماء[1]
لا على سينا
بل في احشائك ؟[2]
في هذه الاحشاء تكونت
كما تنبأ داود[3] من قديم .
ألا اعلمي ، يا عفيفة ،
ان الجبل المسنم
انما هو انا انا الكلمة[4]
صرت منك جسدا
وبهذا الجسد أتألم ،[5]
وبه اموت
فلا تبكي ، يا أم !
بل قولي :
عن رضى يقبل الالام
ابني والهي !

مريم

٧ اجابت الأم ، ابني ،
ان بارحتِ الدموع عيني
لازم الاضطراب قلبي
فلا يقوى
على الصمت لساني .
لِمَ أسمعك ، بني ، تقول:
ما من شفاء لآدم
اذا لم أتألم ؟
وقد شفيت كثيراً من الناس
بدون ألم .
طهرت الأبرص[6]
بلا وجع ،
شئت فكان ما شئت
قومت المخلع[7]
بلا مشقة ،
وبكلمتك ، ايها الصالح
حبوت الاعمى النظر[8]
ولبثت بدون ألم
انت يا ابني والهي !

١) الخروج ١٦ — ٤ ٢) متى ١ — ١٨ ٣) مزمور ٥٨ — ١٦ ٤) يوحنا ١ — ١٤
٥) ١ بطرس ٤—١ ٦) متى ٨—١، لوقا ٥ — ١٢ ، مرقص ١ — ١٤ ٧) متى ٩ — ٢
٨) يوحنا ٩ — ٢ .

مريم

٨ أقمت الاموات
ولم ينلك من الموت أذى
ولا ضممك اليه رمس .
انت ، يا ابني وحياتي !
اذن كيف تقول :
« ان لم أتألم
فلا يشفى
آدم الشقي ! » ؟
مُر ، يا مخلص
فينهض آدم للحال ،
ويحمل سريره بشجاعة .
ولو ضم الحفير آدمَ
فكما أقمت بصوتك لعازر [1]
تقيم آدم ايضاً من الحفير .
فلك يتعبد الكل
بما انك مبدع الكل
اذن لِمَ تخطو بسرعة ، بني ؟
لا ! لا تسرع الى الذبح !
ولا تقتحم الموت !
يا ابني والهي !

يسوع

٩ أما علمتِ ، أيا أم ،
أما علمتِ ما قاله ؟
إرهفي ذهنكِ
واخبئي فيه الكلام
الذي ستسمعين .
فكري في نفسك
فيما اقول :
« ان آدم المسكين
الذي تكلمتِ عنه
مريض لا بجسمه فحسب
انه مريض ، مريض بنفسه .»
برضاه غدا مريضا
فهو لم يسمع لي
وعرّض بنفسه للخطر . »
تُراك أدركت ما اقول ؟
لا تبكي ، يا أمّ !
بل رددي :
الا رفقاً بآدم ،
وعطفا على حواء ؟
يا ابني والهي !

١) يوحنا ١١ — ٣٨

يسوع

١٠ بسبب النهم ،
بسبب الفجع ،
غدا آدم سقيما ،
وانحدر الى اسفل الجحيم
فيبكي هناك
شقاء نفسه .
وحواء التعسة
التي علّمته العصيان [١]
تتأوه معه
وهي مثله سقيمة
تتأوه فتتعلم
ان تحفظ أمر الطبيب .
أفهمت اذن ؟
أوعيت كلامي ؟
لِمَ بكاؤك ، يا أم ؟
ألا اهتفي من جديد :
« ان غفرت لآدم
وان سامحت حواء
فأنت ابني والهي ! »

مريم

١١ حينما النعجة
البريئة من العيوب
سمعت هذا
قالت للحَمَل :
سيدي !
ولو تكلمت هذه المزة
لما أضمرتَ لي شرا
فاقول لك مرامي
واستوضحك كِفافا
كلَّ ما شاء ،
اذا تألمت ومت أفتعود اليَّ ؟
وان انت زرت آدم وحواء
أفأراك من جديد ؟
اني لأخاف ، يا ابني
اخاف ان لا تعود
عقيب الرمس
واذ افتش عن طلعتك
ابكي واصرخ
الا أين هو ؟
ابني والهي

[١] تكوين ٣-٦

يسوع

١٢ عالم الاشياء جميعا
قبل حدوثها [1]
حين سمع كل هذا
قال لمريم :
« ثقي يقيناً ، يا ام ،
انك قبل الجميع ستبصرينني
خارجاً من القبر ،
سآتي لاجلوَ لك
من أية الظلمات
نجيت آدم ،
وما المشقات
التي قاسيت من أجله
سوف أعلنها لاحبائي
فأريهم الجروح في يدي [2]
وآنذاك تشاهدين ، يا أم ،
حواء وقد بعثت بعثا
كما في البدء
وتهتفين بفرح .
انت تخلص الاجداد
انت يا ابني والهي !

يسوع

١٣ اصبري قليلا ،
يا أم
فتشاهدي
كيف اني كطبيب
انفض الوشاح عني
واسرع الى حيث
يتوسد الاجداد
أفتش عن جروحهم
وأبيد بالحربة دمائهم [3]
وقساوتهم
آخذ الخلّ [4]
وألثم جروحهم
واذ أجس قروحهم
بمسبر مساميري [5]
ألفهم بوشاحي
فيغدو صليبي جبارا
ولا ازال عليه
حتى تشيدي بحماس :
تحمل الالام طوعا
من هو ابني والهي !

١) سيراخ ٢٣ – ٣٩ ٢) يوحنا ٢٠ – ٢٧ ٣) يوحنا ١٩ – ٣٤ ٤) متى ٢٧–٤٨

يسوع

١٤ أنفضي الأسى ، يا أم
انفضيه عنك
سيري بغبطة
لأني لهذا أتيت
ولذا اسرع الآن
لأتمم ارادة من أرسلني[1]
فهمتي معلنة
منذ الابتداء
وما ساء أمام الرب
ولا امام الروح
ان أصير انسانا
وان أتألم
لاجل من كان ساقطا .
أسرعي ، يا عذراء
وبشري الجميع
بأنه بالالام
صرع عدوّ آدم
وأتى ظافرا
ابني والهي!

مريم

١٥ غلبني الحب ، يا ابني
غلبني الحب !
يقيناً لا أطيق
ان اكون في خدري ،
وانت على خشبة ،
انا في خبائي ،
وانت في الحفير !
الا دعني ارافقك
فرؤيتك عزاء !
وان كانت جراة
عند اتباع موسى
لا بد انهم
يثبون عليك
قصد قتلك
واثئارًا له منك
لكنما موسى قال لاسرائيل[2]:
ستشاهد الحياة
على خشبة
ما هي الحياة ؟ ما هي[3] ؟
انها ابني والهي !

١) يوحنا ٦–٣٨ ٢) سفر العدد ٢١–٨ ؛ يوحنا ٣–١٥ ٣) يوحنا ٢١–٢٥ و ١٦–٦

يسوع

١٦ ان أتيتِ برفقتي
فلا تولولي ، يا أم !
ولا تذهلي من جديد ،
اذا ما شاهدت
العناصر متزعزعة
لأن جسارة كهذه
ترجف الارض كلها .
لقد عميت السماء[1]
فان تفتح العيون ،
الى ان آمرها ثانية .
فالارض مع البحر
أسرعا في الانهزام ،
ومزق الهيكل ستره[2]
حنقاً على من تجاسر .
وتزعزعت الجبال
واهتزت القبور ،
وعندما تبصرين هذا
اذا ذعرت ، يا ام
فاصرخي اليّ ، ارثِ لي
يا ابني والهي ! »

صلاة

١٧ يا ابن العذراء !
يا إله العذراء
وخالق العالم !
آلامك منتهى حكمتك[3] !
انت تعلم ما كنت
وما صرت اليه ،
اردت الألم
فاتيت متنازلا الينا
لتخلص الانسان .
انت حملت خطايانا
انت الحمل .[4]
انت بموتك أمتها .
خلصت الجميع ، يا مخلص ،
انت لا تنفكّ انت
تألمت او لم تتألم !
انت هو انت
حياً كنت ام ميتا .
وانت اوحيت للعذراء
فصرخت اليك بدالة :
« انت هو ابني والهي ! »

١) متى ٢٧ – ٤٥ ٢) متى ٢٧ – ٥١ ٣) رومانيين ١١ – ٣٣ ٤) يوحنا ١ – ٢٩